فيهزمهم صوت ورقة مندفعة

لما أعطى الرب الشريعة لموسى النبي سرد له قائمة البركات التي تحل على الذين يطيعون الوصية، وقائمة اللعنات التي تأتي على الذين يخالفونها. ومن بين تلك اللعنات أن يموت مخالفو الشريعة بسيف أعدائهم. إلا أنهم لا يموتون جميعهم بل ينجو البعض منهم من سيف العدو ليقعوا فريسة لسيف من نوع آخر وصفه الرب بقوله: "والباقون منكم ألقي الجبانة في قلوبهم في أراضي أعدائهم **فيهزمهم صوت ورقة مندفعة** فيهربون كالهرب من السيف ويسقطون وليس طارد" (لا٢٦:٣٦). يعني ذلك أن صوت اندفاع ورقة يثير فيهم الرعب الذي يثيره السيف فيهربون من ذلك الصوت هروبهم من الموت.

أيضاً سليمان الحكيم وصف ببلاغة شديدة في سفر الحكمة حال المصريين عندما أتت عليهم ضربة الظلام فقال: "هؤلاء أدنفهم (أي اشتد عليهم) **خوف مضحك** فإنهم وإن لم يصبهم شيء هائل كان مرور الوحوش وفحيح الأفاعي يدحرهم فيهلكون من الخوف ويتوَّقون (أي يتجنبون) حتى الهواء الذي لا محيد عنه. لأن الخبث ملازم للجبن فهو يقضي على نفسه بشهادته ولقلق الضمير لا يزال متخيلاً الضربات. **فإن الخوف إنما هو ترك المدد الذي من العقل**. وانتظار المدد من الداخل أضعف ولذلك تحسب مجلبة العذاب المجهول أشد" (حك١٧: ٨-١٢).

يبرز النص الكتابي الأول الارتباط الوثيق بين الخوف ومخالفة الوصية، أما النص الثاني فيوضح الرابطة بين الخوف وضربة الظلام التي ترمز لغياب الاستنارة. وكلا النصين يوضحان ببراعة الحال البائس الذي وصل إليه الإنسان بالسقوط. فهو بعد أن كان قد خُلِق على صورة الله ومثاله وحصل على امتياز التسلط على كل الخليقة، إذ أكل من شجرة معرفة الخير والشر انفتحت مداركه على العديد من الشرور التي كان الخوف أحدها. لذلك وضع الوحي الإلهي في سفر الرؤيا الخائفين على رأس قائمة المحرومين من دخول الملكوت: "وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني" (رؤ٢١:٨). لقد كان الخوف إذاً جزءاً لا يتجزأ من الفساد الذي دخل إلى طبيعة الإنسان بعد السقوط والذي جعل للموت الثاني سلطاناً عليه.

ويؤكد علماء النفس في العصر الحديث في العلاج المعرفي السلوكي على ما أعلنه سليمان الحكيم منذ زمن بعيد بأن "**الخوف إنما هو ترك المدد الذي من العقل**". فالخوف هو ليس إلا فكرة خاطئة غير موضوعية تتسلط على الإنسان فتفسد عليه حياته. "الشرير يهرب ولا طارد أما الصديقون فكشبل ثبيت" (أم٢٨:١). عبارة "لا طارد" هنا تشير بوضوح إلى أن المصدر الحقيقي للخوف يكون في داخل الإنسان وليس خارجه، وبالتحديد في أفكاره. بالتالي، لكي يتحرر الإنسان من مخاوفه ينبغي عليه أن يركز كل معركته وجهاده في ساحة الفكر مقاوماً الفكر بالفكر. إنه إذ يقتني فكر المسيح يعيش في القيامة التي لا محل للخوف فيها.